

سلسلة الحب (1)



لقضاء الحب

القصة أنطونيوس البربروسي

مقدمة

كلمة الحب من الكلمات التي تُستخدم بحساسية شديدة ، نظراً لتشوة معناها في أذهان الكثيرين الذين يعيشون للجسد ، في حين أنها هي جوهر الله "الله محبه " .

لهذا قصدت أن اطلق علي هذه السلسلة ، اسم الحب وهدفني من هذا ، أن تعود الي هذه الكلمة قدسيتها في أذهان القراء ، ولن تعود الا إذا تقدست أذهانهم بالصلاة ، ونعمة الأسرار المقدسة ..

نحن نقول في الصلاة الربية " ليتقدس اسمك " ونقصد من هذا ، أن نتقدس نحن ،

لنكون أهلاً للنطق " باسم القدوس " ..

هكذا أيضاً أرجو من القاريء العزيز ،
أن لا يكتفي بقراءة هذه السلسلة ، وإنما يُرفق
قراءته بالصلاة ، ليتقدس وتعود لهذه الكلمة
قدسيته في ذهنه ، فيستنير ذهنه بنور الحب
الإلهي ..

وهذه النبذة ، تحدثكم عن قبلات المحبة
في لقاء الحب بين العريس السماوى والنفس
البشرية ، كما هو فى سفر نشيد الأناشيد .
فما هي هذه القبلات ؟

وما هو فعلها وتأثيرها فينا ؟

ومن هو الذى نأخذ منه هذه القبلات ؟

بشفاعة أمنا الحنون العذراء مريم ،

وجميع القديسين ، وبصلوات راعي الرعاة
حبيب المسيح ، أبينا قداسة البابا شنودة الثالث
وشريكه في الخدمة الرسولية أسقفنا المحبوب
ورئيس ديرنا الأنبا إيسوذورس ، ارجو أن ينير
الرب أذهاننا بالحب موضوع هذه السلسلة .

المؤلف

عند الغروب

جلست فوق رابية مرتفعه في البرية
المجاورة لأحد الأديرة ، وقت غروب الشمس . .
كان ضوء الشمس يتحول إلى اللون الأحمر ،
ويزداد إحمراراً ، كلما اقتربت الشمس من
المغيب . . وبينما كانت الشمس تبدو للناظر
اليها ، كما لو كانت تتسلل خلف الغيوم
الكثيرة ، التي اكتظت بها السماء في ذلك
اليوم ، تارة تظهر قرصاً كاملاً وتارة أخرى
يحتجب جزء منها أو تختفي تماماً ، هكذا كان
ضوء الشمس يصل إلينا من خلف الغيوم
الكثيرة ، فيتغير من الأصفر إلى الأحمر -
وفق كثافة الغيوم - ماراً بكل ما يندرج تحت

كل منهما ، أي كل درجات الأصفر
وأيضاً درجات الأحمر . . وهكذا حتي غابت
الشمس ، واكتنفت الظلمة هذا العالم .

كانت لحظة رهيبة ومرعبة ، آثرت أن
أغمض فيها عيني ، فرأيت تكراراً لهذا المنظر
في أعماقي ، ولأن ذهني كان مشغولاً طول
اليوم بما قرأته في الأناجيل الأربعة عن آلام
الرب وموته وقيامته ، رأيت في أعماقي
العميقه جداً ، الرب يسوع معلقاً علي عود
الصليب .

أحدث أنينه وهو يطلب لنا الغفران علي
الصليب ، زلزلة رهيبة في أعماقي ، تشققت
علي إثرها المكامن الصخرية للخطية (حصون

الشر) في قلبي . . اصطكت أسناني ،
وارتعشت ركبتاي ، وخارت قواي من هول ما
رأيتَه مختبئاً في أعماقي . .

ذاب قلبي خجلاً ، عندما رأيت خطاياي
مجسمة في الشوك الذي يوخز رأس المخلص .
لم أحتمل النظر اليه الا لحظات ، وتحولت
رأسي عين ماء وعيني ينبوع دموع . . لم أعد
أري شيئاً ، الا أنني أحسست حبه يملك
أعماقي .

وهكذا كما غابت الشمس ، غاب الرب
يسوع عني ، أو كان هذا إحساسي لكثرة
خطاياي . . والأمر الذي يستوجب مني كل
شكر ، هو أن إيماني بحبه إزداد قوة ،

وبالأخص مما حدث لي ، وسأقصه لكم فيما يلي

ثورة في القلب

في هذه اللحظات اكتفتني ظلمة مرعبة
كرهتها من كل قلبي وسمعته يقول متنهداً ،
وهو علي الصليب « أنا عطشان » .. أثار قوله
هذا في ذهني هذه التساؤلات . .

كيف يعطش وهو الساقى الكل بنعمته ؟!
هل يعوزه الماء ؟

وهل كان ينتظر الماء الذي يسد احتياجات
الجسد ؟

أم كان طلبه هذا يعلن دخوله الحقيقي للموت
بالجسد ؟

أجبنني يا إلهي ، لماذا لم تُرد أن تشرب ،

عندما قدموا لك اسفنجة مملوءة خلاً ممزوجاً
بمرارة ؟!

ألا يفسر هذا أنك لم تكن عطشان للماء ؟!
لقد عرفت قصدك بوضوح في قولك "يا أبتاه
اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا
يفعلون (لوقا ٢٣: ٣٤)

انك عطشان لإتمام الخلاص . .

هكذا دخلت مع الحبيب إلى الآمه
(استحقاق خطاياي) فجف حلقى بالمرارة ،
التي ارتفعت إليه من جوفي لكثرة خطاياي . .
ووجدت نفسي أردد معه في تنهد حار قائلاً "
أنا عطشان "

هو عطشان لا يرويه الا قبولي للخلاص !

وأنا عطشان لا يروي ظمأ نفسي إليه إلا حبه !
هنا يا عزيزي ، وحدث شيء عجيب . .
الظلمة التي اكتنفتني ، حجبت عني رؤيته ،
والحب الذي عشته ، ملأ قلبي وصار ناراً
ملتهبة ، أوجد في رجاء ، صار قوة تصرخ
علي لساني قائلة .. " ليقبلني بقبلات فمه
تكرر صراخي بهذه الكلمات ، ولا أدري
كيف توقفت عن الصراخ ، إلا أنني شعرت ،
بأن عقلي أراد كحق له ، أن يعي هذه الكلمات
ويفهم سر هذه اللذة التي اشاعتها في قلبي
ومشاعري ، وكطبيعة العقل الفاحصة لكل
شيء ، طرح هذه التساؤلات . . .
لماذا القبله ؟

ولماذا ، قبلات وليس قبلة ؟
ولماذا ، قبلات الفم بالذات ؟
ولماذا ، احده بضمير الغائب ؟

قبلات الفم

القبلة هي تعبير عن القبول ، وفي هذه
الثورة القلبية التي حدثت ، واكتشفت فيها
خطاياي لا أريد شيئاً سوى أن يقبلني الرب ،
والحقيقة أن طلب القبول من الرب هو احتياج
يشاركني فيه الجميع ، لأن الخطية أفسدت
الكل كما يقول معلمنا بولس الرسول " الجميع
زاغوا وفسدوا معاً . ليس مَنْ يعمل صلاحاً
ليس ولا واحد " (رو٣: ١٢)

عدت بذاكرتي إلي الوراء ، بعد سقوط

آدم ، لعلني أجد في خبرة أبائي الأبرار ،
طريقاً أحظي فيه بقبول الرب لي .. اكتشفت
أنهم حاولوا جميعاً عن طريق الذبائح أن ينالوا
القبول ، ولكن لم تصنع معهم هذه الذبائح ،
أكثر من الغسل الخارجي ، وفشلت تماماً في
اصلاح ما هو بالداخل .. حقاً كما جاء في
العبرانيين " لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع
خطايا " (عب . ١ : ٤)

لهذا " ليس بدم تيوس وعجول بل بدم
نفسه دخل مرة واحدة الي الأقداس فوجد فداءً
أبدياً . لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد
عجلة مرشوش علي المنجسين يقدس إلي طهارة
الجسد ، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي

بروح ازلي قدم نفسه لله بلا عيب يظهر
ضمائرکم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي "
(عب ٩ : ١٢ - ١٤)

أعدتُ النظر اليه وهو في أعماقي ،
معلق علي عود الصليب . . فرأيتُه طريقي
الوحيد للأبدية فحبه الذي تجسد في الدم
المسفوك علي الصليب ، قوة لا تُقهر ، قادر
علي هدم كل حصون وكل علو يرتفع ضد
معرفة الله ، إنه يغسل الأعماق من الأعمال
الميتة ، فيعيد للموتي بخطاياهم الحياة . أي
الشركة مع الرب الإله . هنا وأضاء الروح
القدس ذهني بكلماته كما وردت في الرسالة
إلي كولوسي وهي . . "وأنتم الذين كنتم قبلاً

أجنيين وأعداءً في الفكر في الأعمال الشريرة
قد صالحكم الآن في جسم بشريته بالموت
ليحضركم قديسين وبلا لوم ولا شكوي أمامه"
(كولوسي ١ : ٢١ - ٢٢)

وأدركت بقلبي قوة الدم الذي يتجسد فيه
الحب الالهي ، للغفران والمصالحة والشركة مع
الرب الاله .. والقبلة أبلغ تعبير عن القبول في
استحقاق الدم ، والقبلة تحقق للتائب
الإلتصاق بالرب القائم علي القبول ، وقبلة
الفم تحيل مرارة الخطية الي حلاوة الخلاص ..

الحب المتحرك

هذا الحب الذي رأيته متجسداً علي
الصليب ، ألهب قلبي شوقاً للحبيب ،

وعندما عزمت علي الحركة نحوه ، وجدت نفسي
كالمشلول ..

رأيت نفسي مطروحة علي وجه الحقل
بكراهة نفسي مدوسة بدماء خطاياي ، وإذا
بالحبيب يمر بي قائلاً ، زمناك زمن الحب ..

هذه العبارة أسرت قلبي لحبه ، ووجدت
فيها الجرأة والدالة التي أقول بها ..
ليقبلني بقبلات فمه

إنني مشلول بخطاياي الكثيرة ، لا أقوي
علي الحركة نحوه ، ورأيت حبه دائم الحركة نحو
الخطاة لأجل خلاصهم .. سُمِر علي الصليب ،
لينطلق حبه الي القلوب ، يغسلها ويطهرها

ثم يأسرها لحبه ، ويأتي بالذين يقبلونه إلى
الصليب ، لتسمرهم المحبة فيه عن العالم
فتعيش الأبدية في قلوبهم ، ويعيش فيهم
الحب للجميع . . . هذه هي القبلات التي
أطلبها من الحبيب ، ولأنني أخجل من حبه
لكثرة خطاياي ، لم أستطع أن أطلب منه
قائلاً "قبلني بقبلات فمك " وإنما بشعور
الخاطيء ، لا أستطيع أن أقرب منه ، أو
أرفع نظري إليه ، فأقول ليقبلني بقبلات فمه ،
وبالرغم من احساسي بحضوره ، و يقيني
من حبه الذي يحتويني ، إلا أنه من شدة
خجلي أطلب إليه بضمير الغائب ، وليس
بضمير المخاطب . . .

حسب أطيعيب من الخمر

أحبائي ، ما حدث معي جدير بأن
أذكره لكم . . استجاب الحبيب لطلبي
وأعطاني هذه القبلات ، وقد رأيت فيها حباً
ومصالحة ، وتقدمة مجانية منه . . فيها
أيضاً سر القداسة وحياة الشركة . .

ووجدت فيها أيضاً الفرصة سانحة ،
لأبادله الحديث ، حديث الحب السماوي ، لهذا
يا أحبائي لم أطلب من الحبيب قبلة واحدة ، بل
قبلات لا تنتهي ، إنني في شوق كبير للإتحاد
الكامل بشخصه . . ففي هذا الإتحاد كمال
سعادتي وشبع نفسي .

+ طلبت قبلات فمه ، لأن فمه ذاق المر

والخل علي الصليب ، فحول مرارة خطاياي الي
حلاوة في فمه .

+ فبهذه القبلات اشتركت مع حبيبي في
قبول هذه المرارة ، لأدرك سر الخلاص ، وأذوق
حلاوة الحب الإلهي . .

+ وادركت سر الحب ، وتهيأت لقبول الألم
حتي الموت ، من أجل حبيبي الذي بذل ذاته
عني .

+ وتمتعت بالمصالحة والغفران ، وتحول الألم
في حياتي من عقوبة إلي شركة حب في الأم
حبيبي .

+ وانسكب الحب العجيب في قلبي ،
فأسكرني وذهب بعقلي الي واقع جديد فقدت

فيه كل حس بمتطلبات هذا العالم ، الذي وُضع
في الشرير . . لقد انتشت روعي بسر النصره
والغلبة ، وامتلاً قلبي من الفرح الذي لا ينطق
به ومجيد : لهذا أقول له حبك أطيب من الخمر
عزيزي ، الذي حدث في هذه القبلات لا
أستطيع التعبير عنه ، ولكن علي قدر
استطاعتي ووفق ما يتناسب مع امكانياتي
الضعيفه ، سأحدث عنه .

رأيت بعيني قلبي ، غيوم الخطيه وقد
ارتفعت في قلبي بكثافة كبيره ، ثم بقوة خفيه
كانت هذه الغيوم ، تتلامس فتُبرق وترعد ثم
تتلاشي ، ويهطل مطر غزير مثل السيول ،
وكأنني مع حزقيال أغوص في مياه ترتفع رويداً

رويداً ، ويرتفع معها نظر قلبي ، إلى أن
وجدت نفسي أمام بحر لا يعبر .

أدركت هذه القوة في طاقة الحب ، التي
تنبعث من المصلوب ، تحرك غيوم خطاياي
فتلامس ويتوهج الحب الالهي ، الذي يحركها
فيلتهمها وهكذا حتى امتلأ قلبي من مياه
الحياة ، فامتد بصري للأبدية ، التي رأيت
جذورها في الحبيب وثمارها في قلبي . .

حقاً يا الهي ما أعجب حبك

حبك أطيب من الخمر

اتحاد القلوب

هنا وأحسست بعريسي السماوي ، وقد
احتواني في حبه ، فامتلأ قلبي فرحاً ، لم أذق

طعمه من قبل ، ويعجز لساني عن ان يعبر عنه
فهل صار قلبي سماءً ؟!

أوهل دخلت الأبدية قلبي ، أم صعدت أنا
اليها ؟!

بالتأكيد ، هذا يدل علي حضور المسيح ،
والي أي درجة اتحد قلبي بقلبه . . ولمست أن
حدود المحبه في قلبي قد تلاشت تماماً . . لم
يعد لها حدود ، ولم يعد لها شروط ، وكفت
تماماً عن أن تطلب ما لنفسها . .

لقد وجدته في قلبي فوجدت نفسي . .

في غمرة هذا الفرح الذي لا ينطق به
ومجيد ، تجمعت كل مشاعري ، فاستجمعت
كل قواي ، لتنطق في حب وفرح بلساني قائلة

ليتك كأخ لي .

في بدء حديثي مع الحبيب ، عندما
التقيت به في أعماقي العميقة جداً ، ورأيت
معلقاً علي عود الصليب ، ولأن ظلمة خطاياي
اكتنفتني وأحسست وكأنه غاب عني ، طلبت
اليه بضمير الغائب قائلاً " ليقبلني بقبلات
فمه " . فأدركني بحبه ، وادركت في قبلاته سر
المصالحة ، الذي دخلت اليه بالمعمودية ،
وبالحب الذي انسكب في قلبي تهيأت لحياة
الشركة معه . .

اشترك في اللحم والدم

هذا الحب الذي أسكرني ، وذهب بي إلي
واقع جديد ، عشت فيه معني التجديد ، وذقت

فيه حلاوة الشركة مع الحبيب . . رأيت نفسي
مع البشرية كلها في جسده المعلق علي عود
الصليب . الأمر الذي أثار ذهني فتساءل ،
لماذا ؟

استنار ذهني بكلمات الروح القدس هذه
"فاذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم اشترك
هو أيضاً كذلك فيهما لكي يبيد بالموت ذاك
الذي له سلطان الموت أي ابليس " (عب ٢: ١٤)
أي حب هذا يا إلهي !؟

تشارك معي في اللحم والدم ، لكي تبعد بموتك
موتي ، واتقدس فيك انا الخاطيء ، وترفعني
في حبك ، دون أن تستحي ، الي مستوي
الأخوة ، كما جاء في الرسالة الي العبرانيين

"ولأن المقدس والمقدسين جميعهم من واحد فلهذا
السبب لا يستحي أن يدعوهم أخوة"
(عب ٢: ١١)

حينئذ امتلأ قلبي بنعمة محبتك ، أي
الايمان بك وهذا بدوره صار في قوة جبارة
تميت اهواء الجسد لأصنع مشيئة الآب ،
وكأنني صرت في المسيح ومعه ابناً للآب . .
هنا وتذكرت هذه الكلمات المعزية ، " لأن الذين
سبق فعرفهم سبق فعينهم ليكونوا مشابهي
صورة ابنه ليكون هو بكرأ بين أخوة كثيرين "
(رو ٨: ٢٩) . وأيضاً " لأن من يصنع مشيئة
الله هو أخي وأختي وأمي " (مر ٣: ٣٥) .
أحبائي ، اود ان اقول لكم ، انني عشت

بقلبي أبعاد هذا الحب في دعوة الرب يسوع لي
أخاً له ، وان عجز عقلي عن أن يفهمها أو
يعيها ، الا انني في جرأة المحبة التي تطرد
الخوف الي الخارج ، وجدت نفسي أقول . .

ليتك كأخ لي

وبالطبع لم تدفعني دالة المحبة هذه الي التجاسر
في مخاطبته ، قائلاً (أخي) ، وإنما من منطلق
تنازله ودعوته لي أقول في ترجي ، ليتك كأخ
لي . .

الراضع ثديي أمي

"الراضع ثديي أمي" لقد استوقفتني
هذه الكلمات لأسأل ، هل هذا يعني انه لنا أم
واحدة ؟

في الحقيقة ، أخلي الرب ذاته ، وأخذ له
جسداً من العذراء القديسة مريم (احد أعضاء
الجسد الواحد ، أي الكنيسة) بالروح القدس ،
وأنا ولدت من رحم الكنيسة (المعمودية) بالماء
والروح ، أي أنني أشاركه نفس الأم ..
ماههما إذن ثديا الكنيسة ؟

ثديا الكنيسة هما العهدان القديم والجديد ..
ولكن كيف يرضعهما المسيح ، بينما هو الذي
وضعهما ؟

لقد أخلي الرب يسوع ذاته وأخذ شكل
العبد ، ليعيد للذهن البشري ، الصورة التي
خُلق عليها الانسان ، وقد تشوهت بالخطية ..
يعيدها في كمال طاعتها وجمال برها ، كما

قال ليوحنا المعمدان " يليق بنا أن نكمل كل بر " (مت ٣: ١٥) الانسان عجز عن أن يكمل بر الناموس (العهد القديم) ، بسبب الخطية التي سكنته .. فلبس الرب يسوع جسد بشريتنا ، واكمل عنا بر الناموس ، وقد قيل عنه انه " اطاع حتي الموت ، موت الصليب " (في ٢: ٨) .. ولأنه هو القدوس الكامل في كل شيء ، بلغ في حياته في الجسد ، الكمال مضمون العهد القديم وغاية العهد الجديد ..

هكذا رضع الحبيب ثدى أمي ، لكي يحيل فيّ لبن تعليمهما الي حياته ، فأستعيد لنفسي مجد الصورة الالهية ، التي خلقني الرب عليها ..

قبلا لا تخزي

تمثل انساني الداخلي صورة الهي ، فلقد
لبسته في المعمودية ، وصار لي بره ، اي غرس
في صورة سلطانه (قوة قداسته) ، التي تُبدد
ظلمة الخطية من أعماقي ، وترتقي بانساني
الداخلي من مجد الي مجد ، وهكذا حتي الي
قياس قامة ملء المسيح ..

هنا وشعرت بحبه ينير أعماقي ، ويمتلك
قلبي ، فاتسع للجميع ، وبالأخص للجالسين
في ظلمة هذا العالم .. رأيت متجليا في
أعماقي ، ولمست في حبه ، قوة جبارة ، تحطم
كل حصون وكل علو يرتفع ضد معرفة الله ..
هذا الحب العجيب ، الذي أسر قلبي له ،

صار في قوة لا تُقهر ، تنطلق كالسهم إلى
القلوب لتستقر . فيستقر فيها الحب .. وكأنني
صرت محبة تتأجج في اعماقي كالنار ، تحرق
كل ما يحجب عني رؤيته في الآخرين .. وكما
وجدته في قلبي أجده في كل من التقى به . .
في بدء حديثي معك ، عندما رأيتك في
اعماقي العميقة معلقاً عل عود الصليب ،
ورأيت خطاياي الكثيرة مجسمة في الشوك
الذي يوخز رأسك المقدس ، خجلت جداً من
نفسي وطلبت منك بضمير الغائب ، قائلاً . .
"ليقبلني بقبلات فمه" لأنني أدركت في هذه
القبلات ، سر المصالحة والشركة والحب . . .
ولكن بعد أن صُولحت بدمك في المعمودية